وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل، وأبعد من التعمّد الذي هو ضرب من الخداع بالتزويق، والرضى بأن تقع النقيصة في نفس الصورة وذات الخلقة إذا أكثر فيها من النقش والوشم، وأثقل صاحبها بالحلي والوشي، قياس الحلي على السيف الدذان [1]، والتوسّع في الدعوى بغير برهان، كما قال :

إذا لم تشاهد غير حُسن شياتها وأعضائها فالحُسن عنك مُغيَّب

وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبَه فَرْطُ شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم في البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليُفهم ويقول ليُبين، ويُخيَّل إليه أنه اذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلاضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء. وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده، كمن ثقّل على العروس بأصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها » [2]

ونحن مع الجرجاني في أن الأدب العربي ما أصابه مكروه في نفسه كما أصابه من كثرة التكلّف وطلب الزخرفة اللفظية مما أفسد المعنى وطمس عليه .. وكأن الجرجاني كان يتنبأ بما ستُنزله هذه الصنعة المتكلّفة بالأدب في العصور اللاحقة، عصور الانحطاط، أو الدول

(١) الدذان من السيوف كالكهام وزناً ومعنىً وهو الكليل الذي لا يقطع .

(٢) اسرار البلاغة : ٨ - ٩